

# مدخل للأدب

بين الأنثروبولوجيا والميثولوجيا

للدكتور أحمد كمال زكي

لست أدري الى أى حد نحن بحاجة الى واحد كجورج فنلاى يتحمس وهو يكتب التاريخ ، ولكن بدلا من أن يتعصب لليونان الى حد الانتقال الى بلادهم كى يساعدهم على الأتراك فى حروب الاستقلال ، يعيد النظر فى الموروثات العريية بطريقة تنقله من حاضرهم الى الماضى الموغل فى القدم ، على أساس الاعتراف بمأثورات سلالة سامية لم يقدرها المؤرخون حتى قدرها .

ويكون على المؤرخ - الذى أرجو أن يستفيد بالأنثروبولوجيا - أن يعترف بأن الاستعباد الأجنبى لمناطق تلك السلالة لم يقضى على موادها ٠٠ لا هو ، ولا تغلب الاسبان عليهم بعد قرون من الازدهار ، ولئن حاول الصليبيون مرات أن يقرءوا المرويات العريية من اليسار الى اليمين كى لا يتفهموا ما تقصه بدقة - والقصة توحى بأفكار قد يمكن فهمها منفصلة عن مقاصد الفنان - فقد اضطرتهم نتائج المعارك الأخيرة الى الاعتراف بأن للآثار العريية التى تدثرت بالاسلام جمالا يسهل تصوره منفصلا عن كل أسباب الموضوع .

وفى الحالين كان التقصير فى التقويم أوضح من أن يشار اليه ، وذلك لأن النظرة لم تتجاوز السطوح ، ومع أن وراء هذه السطوح فلسفة أمة تظن لها أن تصبح معلمة العالم بعد رحلة تسودتها قوى باطشة باغية ، وتصارع خلالها الفرس والروم على أيهما أولى بالبقاء .

ولقد حاول جورج زيدان أن يكون - على نحو ما - جورج فنلاى ، غير أن ما جمعه فى مؤلفاته التى صدرها بقوله انه « لم يكن عند عرب الجاهلية تاريخ من قبيل ما تفهمه من هذه الكلمة اليوم » قعد به عن تحقيق أمور وصل

اليها للأسف الشديد بعض من أنصف من المستشرقين . وكان لتردده في قبول الخرافات المنظومة والمنشورة من ناحية وضالة ما انتهى اليه من نقوش قديمة من ناحية أخرى أكبر الأثر في قعوده ، حتى انه لما رأى ضعف نتائجها التي رصدها في مثل كتابه « العرب قبل الاسلام » لم يجد بدا من تدعيمها بأشياء من التوراة وكتب العبرانيين والسريانيين .

ومع ذلك فقد كان من أوائل الذين نهوا الى حضارة جاهلية تعرف لعاد وشمود ولعمالقة العراق ومصر ، كما تعرف لتبابعة اليمن الذين كتبوا أسطوريا جزءا وضيئا من تاريخ العرب القديم . ويشبه موقفه في هذا موقف جواد على ، مع وجود فارق بين من يجمع ليغير مفهومها شاع خطؤه ومن يؤلف لتدعيم ما لم يعد أحد يمارى في صحته .

ويظل لجواد على فضل التمكين للتراث الجاهلي ، شاجيا الصورة التقليدية عن العربي الأول . لأنه لم يكن همجيا ولا كان عاطلا من التفكير ، ولم تكن أيامه حروبا ، ولا كان الجيل عدته الأولى والأخيرة .

كان انسانا مثقفا كما كان انسانا له تاريخه البعيد . . .

وبالرغم من أن الأثروبولوجيين لم يجدوا له - حتى الآن - كهفا ككهوف « ألتاميرا » و « لاسكو » و « كومبارل » وبعضها يرجع برسومه الى عشرين ألف سنة ، فان محصلوات الحيوانية animism والطوطمية totemism وما فيها من اشارات عن « التابو » يمكن أن توحى بتاريخ معقد لحياة العرب الدينية ، والحياة الدينية بوجه عام هي أم الفن بلا نزاع .

أنا لا أدعو دعوة جاهلية - فانتى أعلم أن ثمة من ينكرها على أساس أن الاسلام عطل أسبابها منذ أربعة عشر قرنا - وانما أريد ألا يوجد بيننا مثل هرزن الأديب الروسى المعروف ، فقد قال هذا وهو يرى اهتمام قومه ببعث الرومانية : دعوها ولا ترفعوا غطاء التابوت عن جثة لكى يربعاها القساوسة والخصيان !

فقد كان هرزن يؤمن بأن موسكو لا تمت الى بيزنطة بسبب . . . وأما نحن فلماضينا في دمناء ألف مسرب ، والقاهرة كبغداد ، ودمشق بينها وبين مكة وصنعاء علاقات قرى ونسب .

ومع ذلك لماذا - ونحن نؤرخ - نفصل العرب في جزيرتهم أو في شبه  
جزيرتهم عن الفرس والهنود والاعريق وقدماء المصريين ؟

أفئظن أن هؤلاء كانوا هملا في وقت كان لغيرهم فيه كل شيء ؟ ان كاتبنا  
كالمعاد يمكن أن يعتمد بعض الأجانب ليقرر أن الثقافة العربية أسبق  
من ثقافة اليونان والعبرين ، ، الا أن هذا لا يكفي لتوجيه الاهتمام بأشكال  
الحياة العربية المندثرة . فلا يزال في كلامه من الخطايا ما يضعف حجته ،  
ونحتاج عند مراجعته الى أن نخلق ذلك الصوت الذي طالما ارتفع من بين  
اللاهوتيين التقليديين . اذن نستطيع ملاحظة التطور الذي طرأ على الفكر  
السامي في شبه الجزيرة ، كما نستطيع معرفة طبيعة الشعائر الدينية فنحللها  
في ضوء الظروف الاجتماعية التي نشأت فيها ، ويكون لدينا في نهاية الأمر  
جماع ما يمكن تسميته بالأنثروبولوجيا العربية ، ويستعان فيها بكتابات  
أمثال جيمس فريزر صاحب كتاب « دين الساميين » وادوارد تيلور صاحب  
كتاب « الثقافة البدائية » .

والحقيقة أن الأنثروبولوجيا أصبحت من أهم الأدوات الحضارية المعاصرة ؛  
فمن طريقها يمكن اقتحام ما عجز التاريخ عن اقتحامه ، وبلاستعانة بالميثولوجيا  
وتطبيق نظرية إعادة بناء الفترات التاريخية الغابرة التي لا توجد عنها الا شواهد  
متفرقة ، يسهل معرفة الكثير عما كان الى عهد قريب ضربا من الغيب أو الحدس .  
وفي ضوء ما عرف من أن جنوب الجزيرة العربية كان مأهولا قبل ثلاثة  
آلاف - وكانت له منشأته المعاصرة التي لا تقام الا على مدى قرون أقدم -  
يمكن معرفة دور « اليعمور » أو الحمار الوحشى في بناء حضارة العبرين  
منذ كانوا قبيلة بدوية صغيرة قرب عمان والى أن رحلوا الى جنوب وادي  
النهرين (١) .

ولقد دل استخدام العبرين لليعمور - منذ أربعين قرنا - على كثير  
من المشكلات وبخاصة بعد أن استقروا في بيئتهم الجديدة شمالي الجزيرة حيث  
انظروا على أنفسهم مصابين بمرض التحجر ، وكان من آثار هذا المرض الشعور

بالتقص ومحاولة التغلب عليه بالسطور على موروثات الغير ! وتمكن فريزر في كتابه « الفولكلور في العهد القديم » من استغلال الاثروبولوجيا في تقويم تصور اليهود للرب والأنبياء على نحو لم يختلف كثيرا عن تصور الوثنيين في جنوب الجزيرة حيث تشيع الكهانة وتمارس طقوس السحر بدأب ، ومن ناحية أخرى دعوا آراءهم بما سلبوه من البابليين والكنعانيين الذين اثر عنهم ادمان الوصف للمظهر الشعائري للحياة . وقد كانت عملية تحليل المعتقدات التوراتية رحلة استكشاف للخرافة التي برع فيها العرب ، أكثر مما كانت اعترافا بما سماه بالعبرية العبرية ، واذن يكون علينا ان نبدأ بما رفض أن يبدأ به عند الطبري والمسعودي وابن خلدون .

وعندما أقول ذلك لا أعني أن يحسب ما يجمع عند هؤلاء على أنه من الأساطير حساب التاريخ - فاذا لم يستقم مع منطقته رفض - ولكنني أعني أن يظل من التراث الذي اذا ضاع ضاعت معه أروع مقدمات التاريخ .

وأكثر من هذا فان ما قد يبدو في هذه المقدمات معارضا للعرف ويشيد بالكهانة أو بالسحر - وكلاهما من محاور الدراسات الأثروبولوجية - فانما هو جزء أريد أن يترعنا ، ورحم الله منسري كتاب الله منذ قصدوا للتفسير ، فقد جنح بهم حبههم للإسلام الى الميل عن « وثنيات » الجاهلية ظانين أن في صنيعهم هذا رفعا لكلمة الله ، وما كان في القرآن قط الا بيان رصين لحياة اجتماعية متطورة .

ولم يشذ خلفاء هؤلاء عن هذا الاتجاه العام ، فكانت كتاباتهم - وبخاصة ما يتصل بالتقصس القرآني - عملية طمس لما أراد اليهود جلأه ، ويصف كل ما جاء في تراثنا عن العرب الأول بأنه من الاسرائيليات على سبيل التهوين مع أنه في الحق من البابليات (٢) أو من عربيات تدمر ويثرب وعمان بكل فخر وتقدير .

(٢) يجب ان نعترف بأن السومريين الذين عاصروا الاكاديين كانوا هم واضعي أصول ما يعرف بالبابليات الحضارية ، والسومريون عناصر ايرانية - في الغالب - امتزجت بعناصر سامية ربما كان بعضها من اكاد أو اجادة ( في الشمال ) وقد بناها سرجون الأول الذي حكم بين ٢٥٨٤ - ٢٥٢٠ قبل الميلاد وسميت أسرته الحاكمة بالأسرة الأكادية . وكان حفيد الملك نارام سين أي « محبوب سين » وسين هو اله القمر وتحمل شبه جزيرة سيناء اسمه ، وقد عرف بحروبه مع الأراميين .

ولكن ماذا نريد بكل هذا ؟

لا شيء أكثر من اقرار الحق وردد الى أصحابه .. فقد كان ثمة عرب متحضرون ينتمون الى ارم بن سام بن نوح ، وكان لهم في العمالة عمومة أصلها لاوذ بن سام بن نوح . واني هذا ذهب ابن خلدون في مقدمته وفوه به جرجي زيدان بعد أن رآه يوافق ما اكتشفه العلماء من نقوش في بابل وأشور وما قرأه في كتب الكلاسيكيين كهيرودت وسترابو (٢) .

العمالة عند البابليين « ماليق » أو « مالوق » وأضاف اليهود اليها « عم » بمعنى الأمة أو الشعب فصارت « عم ماليق » أي شعب ماليق ونطقها العرب « عماليق » و « عمالة » (٤) . وكانوا يسكنون شمالي جزيرة العرب حتى جنوبي فلسطين ، في حين سكن أولاد ارم - وهم الأرمانيون عند حمزة الأصفهاني - في الجنوب ، وكان منهم عاد وثمود وجرهم الأول . وهو غير جرهم الآخر الذي جاء بعد لاوذ بجيلين ، وأنجب جرهم القحطانية أو جرهم الثانية .

كان ذلك منذ ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد ، ونحن نعلم أن مؤرخي العرب ينسبون شعوب العرب البائدة الى « ارم » . ويقررون أنهم هاجروا الى وادي النهرين في تاريخ مجهول ، وأسسوا حضارة بابل قبل أن يهاجر العبريون من حول عمان الجنوبية . وكان قبل بابل ، العمالة الذين سماهم بيروسوس الكاهن الكلداني بالكلدان تارة والعرب تارة أخرى ، وعنده أن دولة الكلدان انتهت بقيام دولة الآشوريين التي خلفت بابل في المنطقة المعروفة بأرض سومر وأكاد .

على أن حضرات الأركيولوجيين تدل على أن تلك المنطقة كانت مستوطنة منذ أربعة آلاف سنة من قبل السومريين الذين عرفوا الكتابة المسمارية ، ولما اجتاحتهم عرب الشام امتصوا ثقافتهم وأخذوا بأسباب حضارتهم واقتبسوا حروفهم ذات رؤوس السهام .

(٢) جرجي زيدان : العرب قبل الاسلام ، ٥١ ، ٥٢ ط . دار الهلال بتطيق حسين مؤنس .

(٤) في سفر التكوين ان بنى سام هم عيلام واشور واركتشاد ولود و آرام ، ولعابر الذي يذكر العبريون أنه أبوهم ولد اسمه يقطان انجب خضرموت ، الاصحاح العاشر ٢١ - ٢٧ .

ويطلق المؤرخون على هؤلاء العرب اسم آمورو أى العموريين ، وذكروا أن هجرتين لهم وقعننا على مرحلتين ، وكان من جراء الثانية تأسيس السلالة العمورية الأولى في بابل حيث يحكم حمورابي المشهور في حدود اثنين وعشرين قرنا قبل الميلاد ، وبعد خمسة قرون تأسست حول نينوى امبراطورية آشور ، ولم يكن ثمة شيء - حتى هذا التاريخ - اسمه دولة اسرائيل !

ويحدد صاحب كتاب « الأجدية مفتاح تاريخ الانسان » ثلاث هجرات سامية من شرقى الجزيرة العربية . ويذكر عن الثالثة أنها آرامية وأشير اليها في المسامرية ثم في التوراة ، وعد نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد - وقد دالت دولة الحيثيين - ظهرت امارات آرامية صغيرة في الشماليين الشرقي والغربي لوادى النهرين .

ولما آتس العبريون من أنفسهم قوة بعد أن عبروا الى وادى النهرين ثم تسللوا الى الشام ( ١٣٠٠ - ١٢٠٠ ق.م ) خافوا الدخول في صراع مع الآراميين والكنعانيين . بل لقد ظلوا على عادة التسح بالقوى الذى يجاورونه ؛ ففى سفر التكوين أن ابراهيم الخليل ( ١٨٠٠ - ١٧٥٠ ق.م ) تقريبا ) قال لرسوله الى بنوئيل ملكة الآرامى خاطبا ابنته رفقة « الى أرضى وعشيرتى تذهب وتأخذ زوجة لابنى اسحاق »<sup>(٥)</sup> . وفى موضع آخر تقرأ من كلام اشعيا وهو يتنبأ بغلبة قوته على المصريين « فى ذلك اليوم يكون فى أرض مصر خمس مدن تتكلم بلغة كنعان »<sup>(٦)</sup> .

فاليهود أيام ابراهيم آرميون ، وهم أيام اشعيا كنعانيون ، وعندما اتصر المصريون بتيادة تحوتمس الثالث فى معركة قادش سنة ١٢٨٥ قبل الميلاد خلعوا جلودهم<sup>(٧)</sup> ، حتى اذا كان عهد القضاة مع القرن الحادى عشر قبل الميلاد تبجحوا بجلد اسرائيل وتاهوا بخوارق سليمان بن داود ( ٩٧٠ - ٩٣٣ ق.م ) .

ووصولنا الى هذه النقطة حيث يحتكر اليهود نعمة الوحداية - مع ما فيها عندهم من أحجية ودلاسم - نجد المناسبة لتقول ان التراث العربى الذى نبحت

(٥) الاصحاح الرابع والعشرين ، آية {

(٦) اشعيا ١٩ آية ١٨

The Anvil of Civilisation, p. 133.

(٧)

عن تقويمه بالأثروبولوجيا موجود في التوراة كما هو موجود في قصص البابليين - ملحمة جلجاميش مثلا - وأخبار عاد وثمود وطسم وجديس .

لقد قال العقاد بحماسة المهودة « كان أكثر ما أخذوه منقولاً عن قبائل العربية الكبرى بين اليمن في الجنوب وقبائل الآراميين والكنعانيين في الشمال » فأشار بقوله هذا الى الطقوسيات المختلفة ونبوءات السحر والكهانة والتنجيم ، وكذلك الى الرئي أى رجل الله الذى يرى ، ومن قبيله عندهم ملكة صادق وأيوب وبلعام ويثرون أو شعيب معلم موسى عليه السلام ، وكل هؤلاء عرب علموا اليهود ألا يخلطوا بين مطالب السحر والشعر ومطالب الهداية الحقة !

فان كان لهؤلاء أو لغيرهم ممن جاؤوا اقليمنا العربى حضارة فيها ما يتصل بقيمة الانسان البدائى - على أساس أنه المنطلق الطبيعى نحو فهم الحضارة الانسانية فى عمومها - فلا بد بالتبعية وبحكم الاتصال أن يكون للعرب دورهم البنائى . وتصبح القضية فى رأى لا قضية اثبات أحقية العرب فى بناء الشرق للأوسط القديم ، وانما قضية البحث عن أسباب سكوت الدارسين عن العناصر البشرية التى كانت تلفظها دائما جزيرة العرب طوال عصور وعصور .

اتنا لا نناقش هنا مظاهر التفاوت بين العرب وغيرهم ممن عاصروهم ، وانما نطرح قضية الماضى العربى بأبعاده الخرافية والاسطورية لنقول انه هو التراث الذى أعطى للانسانية الكثير . ومع ذلك فان الدارسين - الذين حسنت نياتهم بعد أن رأوا واحدا كسامويل هوك S. Hooke ، يؤكد علاقة نواميس موسى بشرية حورابى - لا يزالون حتى اليوم يحاولون أن يسألوا ماذا عند هؤلاء الذين حصلوا راية الاسلام ؟

ولربما عند بعضهم - فى مضمار تحديد مراحل التطور - الى الاستنباط عن طريق المخلقات الثقافية cultural survivals ، وهى فى الأثروبولوجيا المسأورات أو الرواسب التى تخلفت فى سيرها عن ركب التطور - بأمر شيوخ الذين - فأسبحت من ثم غريبة ، وتصل فى غرابتها حدا مذهلا اذا أخذت بنقايس الاسلام ، والمعروف أن هذه تقف من الخرافات وأساطير الأولين موقف المستنكر ، وكثير من فرق المتكلمين - وبخاصة المعتزلة - يسخر من روايتها

حتى لقد جرؤ الجاحظ وهو من هو على أن يقول في أحد أجزاء حيوانه : نعوذ بالله من الهذر والتكلف !

على أن هذا الهذر الذي لم يعجب الجاحظ كأحد رجال الاعتزال كان هو نفسه مما أثار العلامة W. De Burgh في كتابه العظيم The Legacy of the Ancient World ان سامي اليمن والحبشة في الجنوب وسامبي كنعان في الوسط ثم سامبي سوريا وبابل وأشور في الشمال وهم الآراميون ، كانوا أولاد بيت عربي واحد وروابطهم تبدو أشبه بروابط التوترون في أوروبا الترون المتوسطة وأوروبا الحديثة .

ويمضى دي بوج فيقول انه اذا كان البريون من ساكني كنعان - يقصد أرضهم - وجاوروا الفينيقيين الساميين الذين استوطنوا ساحل البحر المتوسط منذ الألف الثالثة على الأقل ، فليس من شك في أن الاسرائيليين منهم كانوا دائما عائلة على أولاء وأولئك ، حتى اذا جاء داود وسليمان - وهما أعظم ملوك اليهود - عقدا تحالفا مع حيرام أمير صور الفينيقية ، وكانت هذه هي وصيدا مركزي اشعاع عربي على مدن العالم الزليبي ، وعرضا في الوقت نفسه على الماضي في تمثل ثقافة السكان الأصليين تحت التأثير الكنعاني المؤكد .

وبموت سليمان حوالي سنة ٩٣٣ قبل الميلاد بعد ايقاع شيشنق المصري به انقسم الاسرائيليون بزعمه سبط افرايم الى شماليين وجنوبيين ، وقامت المملكة الشمالية في عهد بيت عمري - كما تخبر أرواح أشور - بجمع التراث السامي واستغلاله في اذاعة حضارة متميزة - الا أن هذه لم تستطع أن تبقى أمام سرجون الأشوري فقضى عليها ، فبقيت الجنوبية الى أن كتب نهايتها بختصر البابلبي سنة ٥٨٦ قبل الميلاد ، ووقع ما يعرف في التاريخ بالأسر العظيم . وأعجب ما في هذا الأسر أنه لم يستطع أن يلغى « عبارة يهود الاله القبلي الذي كانت مهمته أن يخوض معارك تمكين السيادة لبني اسرائيل ... وظل بين كمن ما تمثلوه من العبادات الكنعانية كالمرتفعات ودمى عشتار والعمد المقدسة رب الشعب المختار »

وما يعيننا هنا هو أن توزع الخيال العربي في كتب اليهود أكبر من أن ينكر ، ولئن كان اليهود قد حاولوا طمسه أو تشويهه بذكر حوادث مشينة عن العرب - منذ استهلال اليهودية على يد موسى والى أن وصلت الى صورتها

النهائية كدين عالمي على مطالع القرن الأول الميلادي - فالذي لا شك فيه أن ما فيه من روايات عن الخلق والطوفان والكواكب وبعض الميتافيزيقيات يشبه ما يرويه القاصون العرب عن ملوكهم القدماء وأبطالهم الذين قاموا بكل ما لا يستطيعه بشر تحت الشمس ، فلما نظروا رأوا أنه كله باطل وقبض ربح .

وتبين الآراء التي كان يؤثرها اليهود في بعض المواضع أنها هي نفسها قواعد السلوك الحميدة والحكيمة عند البدوي ، وما يقوله الشاعر طرفة أو السموأل أو الزهير يمكن أن يكون له نظير في سفر الجامعة أو سفر أيوب . وفي غضون الأسر أصبح الأمل في الملكوت الاسرائيلي قوة مهيمنة على أساس صورة عربية خالصة ، إذ كان أحيانا يضيق بحيث لا يلائم الا أشد الاتجاهات القومية تعصبا ، وأحيانا أخرى يتسع حتى ليحطم كل حاجز يفصل بين العبريين ووثني العرب .

ولسنا نحب أن نمضي الى أبعد من ذلك ، فقد صار من الضروري اعطاء ما لله ما لله وما لقيصر لقيصر . وعندما يصبح علينا أن نتحدث عن الحضارات القديمة فلا أحد يستطيع أن يقول : هذا ليس لكم أو هذا لكم ! لأن كل شيء ملك لشعب توزعت عشائره ، ومع ذلك ظلت بين هذه العشائر روابط تشبه روابط التوتون في أوروبا العصور الوسطى وأوروبا العصر الحديث .

\*\*\*

ثم ماذا بعد ذلك ؟

لا شيء أكثر من الرجوع الى التراث الجاهلي شعرا كان أو خطابة أو كهانة مسجعة ، وفي الوقت نفسه الاهتمام بتلك المآثورات Relics التي رفض شيوخ الدين عندنا رصدها على أساس أنها من « الكفریات » أو من قبيل النهذر الذي ندده الجاحظ .

ومن السهل في هذه الحال أن نبدأ بالسير الشعبية والحكايات الخرافية والأغاني الجماعية والألغاز والبكائيات وكل ما يشكل الجوانب الثقافية من

الدونكلور ويمكن بتحليلها ومعرفة الحبكة فيها أن نرد موتيفاتها الى نماذج يونج المنشئة Jung's archetypes وهذه تعنى الفكرة الابتدائية elementargedanke التي قدمها أدولف باستيان سنة ١٨٦٠ داخل كتابه « الانسان في التاريخ دليل على عالمية النفس » .

ومن سقط القول أن نبيد هنا أن الأثروبولوجيين يرون في هذه الأنماط أبعاد الحضارات القديمة أو - بأقل تواضعا - ضروب العقائد وما يصاحبها من عادات وتقاليد وتطور لغة وتصنيف أساطير . ويرى العلامة باكسوم Bascom أن الأثروبولوجي يجد في الأمثال والألغاز والمسجوعات والأساطير وحكايات الخوارق والحرافات مادة أدبية أو فنا قوليا يجسد ضمير الأمة ، ومن ثم يربط الحاضر بالماضى السحيق ويوجد التاريخ الذي يعنى بالمرحلة الثقافية الأولى .

وما أحوجنا نحن الى ذلك ، فنعرف بتحليل الحكايات الشعبية - التي هي بقايا حضرية لاعتقادات الماضى البعيد - الأساس الثقافى للعرب القدماء . وهذه المعرفة لا تستبعد قط منهج ماكس مولر M. Muller أو جاستورن بارى G. Paris الذي يجد في الحكايات الخرافية موروثات باقية من الأساطير ، كما أنها تعتمد قواعد المدرسة الشعائرية Ritualistic School التي تقر الأصل الطقوسى للحكايات .

على أن هذه الحاجة تحوجنا لتحقيقها الى أن نقرر بادىء ذى بدء أن البحث في التفكير الجاهلى - كمظهر ثقافى لا يقل خطورة عن المظهر الثقافى للتوراة - يجب أن يقوم أساسه على الأساطير والحرافات وليس على التاريخ ، مع تسلينا بداهة بأن الخيال كان دائما مفتاحا لأبواب الخرافة ، كما كان البوتقة التي تتولد فيها الأساطير .